حياته

أسرته :

كثير من العظماء ولا سيما فى البلاد الأوروبية يسطرون بأنفسهم قصة حياتهم ، وقلة من الشرقيين دونوا سيرة حياتهم موجزة ، فياقوت ترجم لنفسه فى كتابه معجم الأدباء ، ولسان الدين بن الخطيب ترجم لنفسه فى كتابه الإحاطة بأخبار غرناطة ، وابن حجر عرّف بنفسه فى كتابه رفع الإصر عن قضاة مصر .

وقد شرع بعض المعاصرين يدونون حياتهم مفصّلة تفصيلا ، كالدكتور طه حسين باشا فى كتابه الأيام ، والأستاذ أحمد أمين بك فى كتابه حياتى .

وقد فعل ذلك ابن خلدون فى القرن الثامن ، إذ دون تاريخه إلى ٨٠٧ هـ[1] ، فلم ينقص من حياته إلا العام الأخير .

أما اسمه وكنيته فأبو زيد عبد الرحمن بن محمد ... بن خلدون ، وخلدون هذا جده التاسع — وأصله خالد — وقد نسبت الأسرة إليه لأنه أول من دخل الأندلس من هذه الأسرة مع الغزاة الفاتحين . وأصله من عرب اليمن ، ينتهى نسبة إلى وائل بن حُجر ، ثم رحلوا إلى المغرب ، واشتركوا مع طارق وموسى بن نصير فى فتحها ، واستوطنوها . ولكنهم لم يشتهروا إلا فى أواخر القرن الهجرى الثالث أيام الأمير عبد الله بن محمد الأموى (٢٧٤ — ٣٠٠هـ)

---

(١) كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً مخطوط بدار الكتب ١٠٩ تاريخ .

إذ غامروا مع الثائرين ، وتزعم بعضهم الثورة ، واستطاع كُرَيْب بن خلدون أن يستقل بإمارة إشبيلية ، لكنه قُتل ، وبقى بنو خلدون بغير زعامة إلى أن عاد لهم مجدهم فى دولة بنى عَبَّاد، حيث رقوا إلى مناصب الوزارة والرياسة .

وقد انضموا فى سنة ٦٢٠هـ إلى بنى حفص ، ونزلوا معهم فى بلاد البربر يدعون ضد الموحِّدين ، وحفظ لهم الْحَفْصيون هذا الوفاء، فولوا الجد الثانى لابن خلدون شئون الدولة الحفصية بتونس . ثم تولى جده الأول الحجابة لحاكم بجاية من بنى حفص ، وحارب معهم الخارجين عليهم ، وبقى مقربا لديهم إلى ٧١١هـ حيث سقطت تونس فى قبضة زعيم الموحدين . فقربه إليه واتخذه حاجبه ، وبقى فى منصبه إلى أن توفى سنة ٧٣٧ هـ .

وأما أبوه فإنه باعد بين نفسه والسياسة ، لأنه رآها حافلة بالأحداث والفتن ، وآثر أن يعكف على القراءة والدرس ، وكان ميله الخاص إلى علم الفقه واللغة وقرض الشعر . وقد توفى ٧٤٩ هـ .

سيرته :

كانت أسرته مشهورة بالسياسة وبالعلم والأدب ، فتتلمذ على أبيه أولا ثم على علماء المغرب ، وأحاط بثقافة عصره ، وكان لها ولذكائه أثر عظيم فى فكره . وإذ عَلِم أن أسرته كان لها شأن عظيم فى خدمة الملوك وتصريف الأمور فقد اشتاق إلى أن يمارس ما مارسوا من قبل ، فعمل كاتباً للسلطان لأبى إسحق الحفصى، ثم للسلطان أبى عنان المرينى سلطان المغرب الأقصى ، ثم أبى سالم المرينى . ثم رحل إلى غرناطة فى ظل السلطان محمد بن الأحمر ووزيره لسان الدين بن الخطيب ، وحينئذ أرسله ابن الأحمر إلى ملك قشتالة الإسبانى

بإشبيلية فنجح فى سفارته وعاد موفقا . ثم رجع إلى بجاية حيث تولى منصب الحجابة . ثم تحول عن السياسة واشتغل بالتدريس بمدينة بسكرة ، ثم خرج إلى فاس ، ثم عاد إلى الأندلس بعد مقتل ابن الخطيب ، ثم طرده محمد بن الأحمر ، فاختار تلمسان وعاش فى ظل أميرها أبى حمو ، ثم نزل فى رعاية أولاد عريف فى قصر لهم بقلعة سلامة ، وعاود العزم على أن ينقطع عن السياسة ، فمكث هنالك أربع سنوات ألف فيهن مقدمته ، وكتب تاريخ العرب والبربر وزناتة ، ولكنه شعر بحاجته إلى بعض المراجع ، فاستأذن آل حفص فى العودة إلى تونس ، فأجابوه ، وهناك أكب على المراجعة ، وأتم تاريخه .

ولما اشتغل بالتدريس والتأليف ، واستفاضت شهرته فى الآفاق حنق عليه علماء تونس الذين سلبهم شهرتهم ، واجتذب منهم طلابهم ، فوشوا به إلى السلطان . فلما علم بوشايتهم تذرع للخلاص ، فاستأذن فى الرحلة إلى المشرق ليحج ويتم تاريخه ، وكان فى نفسه يزمع مصر .

وصل إلى مصر ٧٨٤هـ فى عهد الملك الظاهر برقوق ، ودرّس فى المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو ، ثم فى المدرسة الظاهرية البرقوقية ، ودرس أيضا فى الأزهر . لكنه لم يذكر العلوم التى درّسها ، ولم يذكر الكتب التى علّمها وقرّرها .

وفى مصر تولى قضاء المالكية ست مرات ، وكان يعزل لأنه يلح فى الإصلاح ، ولأن حساده نهازون للفرص .

ونكب بغرق أهله وأولاده فى البحر وهم مقبلون إلى مصر ، فحزن

لذلك ، ونفّس عن نفسه بالحج ٨٧٩ هـ ثم سافر إلى فلسطين ليشاهد آثارها سنة ٨٠١ هـ .

ولما دهم تيمور لنك الشام ٨٠٣ هـ خرج للقائه السلطان الناصر فرج واصطحب معه جلة العلماء ، وفيهم ابن خلدون ، ونزل العلماء فى المدرسة العادلية ، ولقى ابن خلدون تيمور لنك وحادثه .

وكان ذلك فى سنة ٨٠٣ ، وهو يقص فى كتابه التعريف أنه تحدث مع تيمور لنك طويلا ، وأنه سأله عن بلاد المغرب وأحواله وسلاطينه ، وطلب منه أن يكتب له رسالة فى وصف المغرب ، وأن ابن خلدون شرح له بعض آرائه التى يراها فى الملك والعصبية (١) .

ثم عاد إلى مصر ، وعاود التدريس والقضاء ، حتى توفى ٨٠٨ هـ .

---

(١) التعريف بابن خلدون .